واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
أو: الاستقامة بعد رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد:

تمهيد:

لقد يسر الله طرق الخيرات، وتابع لعباده مواسم الحسنات، وربنا وحده مصرف الأيام والشهور، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، جعل لكل شيء سببًا، ولكل أجل كتابًا، ولكل عمل حسابًا، وجعل الدنيا سوقًا يغدو إليها الناس ويروحون، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، والأيام أجزاء من العمر ومراحل في الطريق، تفنى يومًا بعد يوم، مُضِيُّها استنفاد للأعمار، واستكمال الآثار، وقرب من الآجال، وغلق لخزائن الأعمال.

أخي الكريم:

مضت أيام مباركات، قطعت بها مرحلة من مراحل العمر، من أحسن فيها فليحمد الله، وليواصل الإحسان، ومن أساء فليتب إلى الله، وليصلح العمل، ومن طلب أدلج.

قيل للإمام أحمد رحمه الله زمن اشتداد محنة خلق القرآن: متى الراحة؟ قال: عند وضع أول قدم في الجنة.

ولقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات...

فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة تتبعها، فيتبع الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها وتكميلاً لها، وتوطينًا للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكريم خصالها، ويتبع السيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها وضررها،

قال تعالى: "إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّـيِّـَٔـاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ".

لماذا تستقيم على الأعمال الصالحة عقب رمضان؟

أولاً: لأنك لا تعرف متى يأتيك الموت، والأعمال بالخواتيم، ورب مجتهد في العبادة طيلة عمره جاءه الموت وهو يقترف ذنباً، ورب عاص طيلة عمره جاءه الموت وهو يؤدي طاعة...

١- قال تعالى: "وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ".

٢- روى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ [أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَجَعَلَ ذُبَابَةَ سَيْفِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ

رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتَ لِفُلَانٍ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنْ الْمُسْلِمِينَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ].

٣- روى البخاري ومسلم عن عَبْد اللَّهِ بن مسعود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: [إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ].

٤- روى مسلم في صحيحه عن عَبْد اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: [لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا فُلَانٌ شَهِيدٌ فُلَانٌ شَهِيدٌ حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا فُلَانٌ شَهِيدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ قَالَ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ].

ثانياً: لأن الاستقامة على الطاعة والاستمرار على التقيد بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والزواجر هي من صفات عباد الله المؤمنين:

قال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ".

ثالثاً: لأن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة وحثهم على ملازمتها

قال تعالى: "فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ".

رابعاً: لأن الاستقامة مفتاح للخيرات، وسبب لحصول البركات، واستقامة الأحوال

١- قال تعالى: "وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّاء غَدَقاً".

٢- روى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، فقال: [قل: آمنت بالله، ثم استقم].

خامساً: لأن استقامتك على العمل الصالح تثبت لك أجره حتى ولو عجزت عنه لظروف قهرية: فسارع إلى التزام عمل صالح وحافظ عليه، حتى إذا ما داهمك مرض أو شغلك سفر أعجزك عن المحافظة على ذلك العمل الصالح، كتبه الله تعالى لك حال عجزك أو شغلك عنه:

١- في صحيح البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا].

٢- وفي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [بَادِرُوا بالأعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرٌّ غَائِبٌ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ].

سادساً: لأن الله تعالى نهانا أن نكون كامرأة مغفلة في الجاهلية كانت تنقض غزلها بعد أن تكون قد أوشكت على تمامه، تماماً كالذي يترك العمل الصالح بعد أدائه قبل أن يأتيه الموت وهو عليه، بل يأتيه الموت وقد ترك العمل الصالح.

قال الله تعالى: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ".

سابعاً: لأن ديننا علمنا الدعاء باستمرار أدائنا للأعمال الصالحة:

١- قال تعالى: "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ".

٢- روى مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: [كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ].

٣- روى أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ أَنَّهُ قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ].

ثامناً: لأن نبينا صلى الله عليه وسلم نهى بعض أصحابه عن ترك الطاعات بعد أدائها:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عَبْدَ اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: [قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ].

تاسعاً: لأن نبينا صلى الله عليه وسلم كان إذا عمل عملاً أثبته، ويحب دوام العمل الصالح:

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ، وَكَانَ إِذَا نَامَ مِنْ اللَّيْلِ أَوْ مَرِضَ صَلَّى مِنْ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً].

٢- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَلْقَمَةَ قال: [قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَصُّ مِنْ الْأَيَّامِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ؟].

٣- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن مَسْرُوق قَالَ: [سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: الدَّائِمُ].

٤- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: [أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا].

٥- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ].

٦- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ].

عاشراً: لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى أن من فضل المداومة على العمل الصالح مصافحة الملائكة لنا:

روى مسلم في صحيحه عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ قَالَ: [لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا ذَاكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ].

الحادي عشر: لأن نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر لنا في بعض الأحاديث أن المثابرة على مداومة بعض الأعمال الصالحة لها ثواب مخصوص، فدل ذلك على تعميم القاعدة في الأعمال الصالحة عموماً، مع اختلاف الأجر لكل منها...

١- روى أهل السنن عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ].

٢- روى أهل السنن عن أُمَّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ].

٣- روى أهل السنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ حَافَظَ عَلَى شُفْعَةِ الضُّحَى غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ].

٤- روى الترمذي في السنن عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ].

أخي الكريم:

العمل الصالح الذي تفعله ينفعك أنت، ولا ينفع ربك،...

١- قَالَ تَعَالَى: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ".

٢- روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: [يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ

مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ].

ما هو جزاء العمل الصالح في الدنيا قبل الآخرة؟

أولاً: من الجزاء في الدنيا حسنُ رعاية الله:

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ].

ثانياً: من جزاء العمل الصالح المودَّةُ في قلوب المؤمنين:

١- قال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدّاً" [مريم:٩٦].

٢- روى الطبري في تفسيره بأسانيده فِي تفسير هذه الآية:

٢/١ عَنْ اِبْن عَبَّاس قال: (مَحَبَّة فِي النَّاس فِي الدُّنْيَا).

٢/٢ وفي رواية قال: (الْوُدّ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا, و الرِّزْق الْحَسَن، وَاللِّسَان الصَّادِق)،

٢/٣ وعَنْ مُجَاهِد قال: (يُحِبّهُمْ وَيُحَبِّبهُمْ إِلَى خَلْقه).

٢/٤ وعَنْ قَتَادَة قال: (مَا أَقْبَلَ عَبْد إِلَى اللَّه إِلَّا أَقْبَلَ اللَّه بِقُلُوب الْعِبَاد إِلَيْهِ، وَزَادَهُ مِنْ عِنْده).

٣- وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ اللَّه إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيل فَقَالَ يَا جِبْرِيل إِنِّي أُحِبّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبّهُ جِبْرِيل قَالَ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْل السَّمَاء إِنَّ اللَّه يُحِبّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ قَالَ فَيُحِبّهُ أَهْل السَّمَاء ثُمَّ يُوضَع لَهُ الْقَبُول فِي الْأَرْض وَإِنَّ اللَّه إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيل فَقَالَ يَا جِبْرِيل إِنِّي أُبْغِض فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُبْغِضهُ جِبْرِيل ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْل السَّمَاء إِنَّ اللَّه يُبْغِض فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قَالَ فَيُبْغِضهُ أَهْل السَّمَاء ثُمَّ يُوضَع لَهُ الْبَغْضَاء فِي الْأَرْض].

٤- روى أحمد في مسنده عَنْ ثَوْبَان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ الْعَبْد لَيَلْتَمِس مَرْضَاة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَزَال كَذَلِكَ فَيَقُول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيل إِنَّ فُلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِس أَنْ يُرْضِينِي أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ فَيَقُول جِبْرِيل: رَحْمَة اللَّه عَلَى فُلَان وَيَقُولهَا حَمَلَة الْعَرْش وَيَقُولهَا مَنْ حَوْلهمْ حَتَّى يَقُولهَا أَهْل السَّمَاوَات السَّبْع ثُمَّ يَهْبِط إِلَى الْأَرْض].

٥- روى أحمد في مسنده عَنْ أَبِي أُمَامَة قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ الْمِقَة مِنْ اللَّه — أي الْمَحَبَّة – وَالصِّيت مِنْ السَّمَاء، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّه عَبْدًا قَالَ لِجِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام إِنِّي أُحِبّ فُلَانًا فَيُنَادِي جِبْرِيل إِنَّ رَبّكُمْ يَمِق — أي يُحِبّ – فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَتَنْزِل لَهُ الْمَحَبَّة فِي الْأَرْض، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا قَالَ لِجِبْرِيل إِنِّي أُبْغِض فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ قَالَ فَيُنَادِي جِبْرِيل إِنَّ رَبّكُمْ يُبْغِض فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيَجْرِي لَهُ الْبُغْض فِي الْأَرْض].

ثالثاً: من جزاء العمل الصالح حسنُ الذكر:

قال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" [العنكبوت:٢٧].

فقوله "وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا" أَيْ: جَمَعَ اللَّه لَهُ بَيْن سَعَادَة الدُّنْيَا الْمَوْصُولَة بِسَعَادَةِ الْآخِرَة فَكَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا الرِّزْق الْوَاسِع الْهَنِيّ وَالْمَنْزِل الرَّحْب وَالْمَوْرِد الْعَذْب وَالزَّوْجَة الْحَسَنَة الصَّالِحَة وَالثَّنَاء الْجَمِيل وَالذِّكْر الْحَسَن وَكُلّ أَحَد يُحِبّهُ وَيَتَوَلَّاهُ، مَعَ الْقِيَام بِطَاعَةِ اللَّه مِنْ جَمِيع الْوُجُوه.

وتلك هي الحسنة التي امتن الله بها عليه في الدنيا، كما في قوله تَعَالَى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ".

وما ذلك إلا لأنه وفى بجميع أوامر الله تعالى، وعمل الصالحات، كَمَا قَالَ تَعَالَى: "وَإِبْرَاهِيم الَّذِي وَفَّى"، أَيْ قَامَ بِجَمِيعِ مَا أُمِرَ بِهِ، وَكَمَّلَ طَاعَة رَبّه.

رابعاً: من جزاء العمل الصالح تفريجُ الكروب:

١- قال تعالى: "وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ" [الطلاق:٢، ٣].

٢- وفي الحديث أن ثلاثة نفر ممن كانوا قبلنا انطلقوا، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فلم ينقذهم إلا توسُّلهم إلى الله بأعمالهم الصالحة. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ:

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ].

خامساً: من جزاء العمل الصالح السعادة:

١- قال تعالى: "مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".

٢- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ].

إخوة الإسلام:

داوِموا على الخير الذي قدَّمتموه في رمضان، واحرِصوا على الفضل الذي نلتموه بالمداومة على العمل الصالح، وفي مقدمة هذه الأعمال العباداتُ: الصلاة والزكاة والصيام والحج، فهي من أركان الإسلام التي لا يجوز التهاون بها مطلقاً أو التقليل من أهميتها.

أخي الكريم:

هل بعد رمضان تركت الحسنة وأقبلت على السيئة؟

١= بئس العبد لا يعرف الله إلا في رمضان , إن كان الصوم المفروض قد انقضى فإن من نافلة الصوم:

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ]. وفي هذا نتلمح الاستقامة والمداومة على عبادة الصيام، فليست الصيام الواجب في رمضان فحسب، بل هي عبادة مستحبة في غير رمضان، ويريدك الشارع الحكيم أن تواظب عليها عقب رمضان.

٢= بئس العبد عبداً لا يصلي قيام الليل إلا في رمضان، ولئن كانت التراويح قد انقضى وقتها، فإن قيام الليل ما يزال مشروعاً مرغباً فيه ,

١- روى أبو داود في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ].

٢- صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل].

٣- وصح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [نعم الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل].

٤- وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [أيها الناس! افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام].

٣= بئس العبد عبد حافظ على الرواتب والنوافل في رمضان فلما انقضى رمضان تركها،

عباد الله دونكم الرواتب فالزموها، وهي اثنتا عشرة ركعة, ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء,

١- ففي صحيح مسلم عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: [من صلى لله في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة]

٢- والوتر يا عباد الرحمن فلا تضيعوه, صح في المستدرك وصحيح ابن خزيمة عن علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه وعلي آله وسلم أنه قال: [أوتروا يا أهل القرآن، فإن الله وتر يحب الوتر].

٤= بئس العبد عبداً كان حريصاً على ختم القرآن في رمضان، فلما انقضى رمضان أعاد المصحف إلى علبته الفاخرة، ثم وضعه على الرف

عباد الله كتاب الله فلا تضيعوه.

١- قال تعالى: "وقال الرسول يا ربي إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"

٢- وروى الترمذي عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر على رأس العبد ما دام في صلاته، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه]، يعني القرآن.

٥= بئس العبد عبداً كان يحرص على ذكر الله تعالى في رمضان والتسبيح، حتى كانت السبحة في يده لا تكاد تفارقه، يحركها أمامك وهو يكلمك، ويضعها على مكتبه وهو يحادثك، وإذا أحس أنك لم تلحظها في يده يكاد يرفعها فوق رأساً ملوحاً بها لك ليتأكد أنك قد رأيتها وعلمت أنه مسبح لله تعالى، ثم أين التسبيح؟

١- قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً"،

٢- وقال: "والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً".

٣- روى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها ثم مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى].

٤- وروى أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أن رجلا سأله فقال أي الجهاد أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، قال: فأي الصالحين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص، ذهب الذاكرون بكل خير!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل].

٥- وروى الطبراني في الصغير والأوسط عن جابر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما عمل آدمي عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى، قيل ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع].

٦- وفي المسند عن معاذ بن جبل أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله].

٧- وفي المعجم للطبراني وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال لهم إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: [أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله].

٦= بئس العبد عبداً عَمَّرَ المساجد في رمضان، لبس العباءة والطاقية والسبحة في يده، فكان لا يصلي إلا في الصف الأول، شيخ سجادةٍ يضعها على كتفه، شيخ زبيبة يحفرها على جبينه، ثم بعد رمضان أين هو وأين المسجد؟

١- ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة]

٢- وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة].

٣- وفي السنن والمستدرك للحاكم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له. قالوا وما العذر ؟ قال: خوف أو مرض].

٧= بئس العبد عبداً أمر نساءه في رمضان بالحجاب، فألزمهن لُبْس الطرحة وترك المكياج وعدم الخروج من البيت متعطرات بصنوف البارفانات وعدم لبس الملابس الضيقة الفاتنة، فلما ذهب رمضان أذِنَ لهن في عكس ذلك.

٨= بئس العبد عبداً كان حريصاً على الإنفاق من ماله على الفقراء والمساكين وموائد الرحمن، فلما انقضى أمسك يده

عباد الله افعلوا الخير فلا تعدموه،

١- قال تعالى: "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون",

٢- وقال تعالى: "آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ".

٣- وقال تعالى: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين".

٤- وفي الحديث أن لله ملائكة يقولون صبح كل يوم: [اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً].

٩= بئس العبد عبداً عَظَّمَ ربه في رمضان أن يعصيه بقول أو فعل، فلما انقضى رمضان سقطت هيبة الله في قلبه

١- عظموا الله بتقديره وإجلاله: "وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه",

٢- عظموه بتعظيم شعائره, قال تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب",

٣- عظموه بتعظيم حرماته: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فهو خير له عند ربه",

٤- إن خيراً لكم عند ربكم أن تغضوا أبصاركم وتحفظوا فروجكم ذلك أزكى لكم إن الله خبير بما تصنعون ,

٥- إن خيراً لكم عند ربكم أن تكفوا عن أكل الحرام من الربا والرشوة والغش وأكل مال اليتيم وأكل أموالكم بينكم بالباطل,

٦- إن خيراً لكم عند ربكم أن تنكروا على من فعل المعاصي وتدعوه إلى الكف عنها والتوبة منها,

٧- إن خيراً لكم عند ربكم أن تعظموا حرماته بمعرفتها واجتنابها والتحذير منها والإنكار على الواقع فيها،

٨- قال تعالى: "ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم".

أخي الكريم:

لا تغتر بما صدر عنك من طاعات في رمضان،

فلعلك صمت فأتممت، فأعجبتك نفسك، ولعلك قمت في التراويح والتهجد وتعبت فأعجبتك نفسك، ولعلك قرأت القرآن وختمت فأعجبتك نفسك، ولعلك اعتكفت في العشر الأواخر فأعجبتك نفسك، ولعلك الآن منتفشاً تمشي اليوم كما يمشي الصالحون متصنعاً مشيتهم، تظن أن أحداً لم يأتك قبلك بمثل ما أتيت، أو أن أحداً لن يأت بعدك بمثل ما أتيت، ولعل لسان حالك يقول: "يا أرض اهدي ما عليك قدي".

فلطمة على قفاك لتفيق: روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لن ينجي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فسددوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا].

ففي هذا الحديث فائدة عظيمة: فمن ذلك أن العمل وحده لن يكفي للنجاة من عذاب الله عز وجل والفوز بجنة الله، بل لابد من الاضطرار إلى رحمة الله عز وجل وعفوه، فقد قال بعض السلف: ينجون من النار بالعفو، ويدخلون الجنة برحمة الله، ويتقاسمون الدرجات بالأعمال.

فإن قال قائل قال الله تعالى: "وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون"، وقال تعالى: "كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية".

فالجواب أن الباء المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم: [لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله] هي باء العوض والمقابلة، فالعمل مهما كان عظيما لا يكفي للنجاة من عذاب الله والفوز بجنة الله عز وجل، حتى ولو كان أفضل العمل، وهو عمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف يكون العمل مقابلا لجنة الله عز وجل، والجنة خلود في أعظم النعيم، وكم يعيش المؤمن في الدنيا حتى يكون عمله مقابلا لجنة الله، فالباء المنفية في الحديث هي باء العوض والمقابلة، كما تقول: أعطني كذا بكذا، فليس هناك عمل يساوي الجنة.

أما الباء في قوله عز وجل: "بما كنتم تعملون"، وفي قوله عز وجل: "بما أسلفتم في الأيام الخالية" فهي باء السبب، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، والسبب لا يستقل بنفسه، بل لابد من رحمة الله عز وجل وعفوه.

فإن قيل: قال الله عز وجل: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم".

فالجواب أن الله سبحانه وتعالى خاطب العباد بما يتعارفونه بينهم، فقد جعلهم الله عز وجل بائعين في هذه الآية، كما جعلهم مقرضين في قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون". مع أن الذي يقترض يكون محتاجا، والله عز وجل هو الغني، وما سواه فقير إليه كما قال تعالى: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد". فلما كان القرض يرد مرة ثانية إلى صاحبه، والصدقة تعود على صاحبها، أوفر ما كانت في الآخرة، سمى الله عز وجل ذلك قرضا، مع أنه لا يشبه القرض في كل شيء، فكذلك هنا ندب الله عز وجل العباد إلى بذل نفوسهم لله عز وجل بما يتعارفونه بينهم، بجعلهم بائعين لنفوسهم، مع أنه لا يشبه البيع من كل وجه.

وكيف تكون الجنة ثمنا للعمل الصالح، والعمل الصالح والتوفيق له هو في حد ذاته نعمة من الله ؟؟؟

فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين، ولهذا يقول أهل الجنة عند دخولها: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق". فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وبأسبابها من الهداية، وحمدوا الله على ذلك كله، جوزوا بأن نودوا: "أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون".

فالله عز وجل يحب من العباد أن ينسبوا الفضل لله، والحمد كله لله عز وجل، وأن ينسبوا العيب والذنب إلى أنفسهم، فلما قال أهل الجنة هذه المقالة التي يحبها الله عز وجل: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق"، كان الجواب: "ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون"، فأثنى الله عز وجل عليهم بأعمالهم.

ومما يؤكد معنى الحديث كذلك أن تضعيف الحسنات إنما يكون بفضل الله عز وجل ورحمته، ومغفرة الذنوب والخطيئات، إنما يكون بعفو الله عز وجل ومغفرته، فإذا أراد الله عز وجل أن يرحم عبدا وهب له النعم، وغفر له السيئات، وضاعف له الحسنات، ولو بقيت له حسنة واحدة ضاعفها الله عز وجل له حتى يدخله الجنة، وإذا أراد شقاء عبد حاسبه على نعمه عليه هل وفّى شكرها، فلا تفي جميع أعمال العبد الصالحة في وفاء شكر بضع نعم الله عز وجل على العبد فتبقى بقية النعم بلا وفاء، بالإضافة إلى الذنوب والمظالم، فلابد أن يهلك العبد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من نوقش الحساب عُذّب]، وفي رواية: [من نوقش الحساب هلك].

فإذا أراد الله عز وجل نجاة عبد عامله بفضله، وإذا أراد هلاك عبد عامله بعدله، نسأل الله عز وجل أن يحملنا على فضله، وأن لا يحملنا على عدله.

قال بعض السلف: إذا بسط فضله لم يبق لأحد سيئة، وإذا جاء عدله لم يبق لأحد حسنة.

فالعمل والاجتهاد في الطاعة وحده لا يكفي للنجاة من عذاب الله والفوز بجنة الله عز وجل

كان داود الطائي يجتهد في العبادة والعمل الصالح، حتى قال محارب بن دثار: (لو كان داود في الأمم السابقة لقصّ الله عز وجل علينا من خبره). فلما مات رحمه الله قام ابن السماك بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله ويبكي، والناس يبكونه، ويصدقونه على مقالته، ويشهدون بما يثني به عليه، فقام أبو بكر النهشلي فقال: (اللهم اغفر له وارحمه، ولا تكله إلى عمله، فمهما كان عمل العبد لو وكِل إليه هلك).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: فإذا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم، وعلم أن العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة، فضلا عن أن يوجب في نفسه الوصول إلى أعلى ما في الجنة من منازل المقربين والنظر إلى وجه رب العالمين، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته، فذلك يوجب على المؤمن أن يقطع نظره عن عمله بالكلية، وأن لا ينظر إلا إلى فضل الله ومنته عليه. فلا يغتر العبد بعمله، بل ييأس من نفسه وعمله، ويعلق قلبه بالله عز وجل، قال الله تعالى: "فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار". فالإيمان والهجرة والجهاد والشهادة لا يكفي بمجرده حتى يكفر الله عز وجل سيئات العباد، ويدخلهم الجنة فلا بد لهم من عفو الله عز وجل ورحمته. أهـ

قال بعض السلف: (الآخرة إما عفو الله أو النار، والدنيا إما عصمة الله أو الهلكة).

وكان محمد بن واسع يودع أصحابه عند موته ويقول: (عليكم السلام، إلى النار أو يعفو الله).

أخي الكريم:

اغتنم أوقات السير إلى الله عز وجل، والسير إلى الله عز وجل ليس سيرا بالأقدام، ولكنه سير بالقلوب، فقد يسبق العبد بقلبه ونيته من هو أكثر منه صلاة وصياما واجتهادا بالجوارح.

من لي بمثل سيرك المدلل   تسير رويدا وتجئ في الأول

قال بكر بن عبد الله المزني: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة وصيام، ولكن بشيء وقر في قلبه.

وقال رجل للتابعين: لأنتم أكثر صلاة وصياما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا خيرا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

فكان في التابعين من هو أكثر عبادة من الصحابة رضي الله عنهم كان في التابعين ثلاثون تابعيا لو قيل لأحدهم: القيامة غدا. ما استطاع أن يزيد شيئا، ولكن الصحابة كانوا خيرا منهم، فقد سبقوا من بعدهم بقوة يقينهم في الآخـرة، وتقـواهم وإخلاصـهم وزهدهم، والأعمال تتفاضل بحسب ما في قلوب أصحابها من تقوى لله عز وجل.

قال أبو الدرداء: (يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم، كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم، والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين).

وقال بعضهم: (كم من قائم محروم، وكم من نائم مرحوم، هذا قام وقلبه كان فاجرا، وهذا نام وقلبه كان عامرا).

أخي الكريم:

إن الله جعل الدنيا سوقاً يغدو إليها الناس ويروحون منها، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، وإنما يظهر الفرقان ويتجلى الربح من الخسران يوم القيامة: "يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفّر عنه سيئاته ويدخله جنـات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبـئس المصير".

الخطبة الثانية

أخي الكريم:

إن أبواب الطاعات كثيرة، وأجرها عند الله تعالى عظيم كثير، وبخلاف الأجر يوم القيامة لك الأثر الطيب للطاعات في الدنيا، والعمل الصالح لا يقتصر على عبادات معينة ومجالات محددة، بل هو ميدان واسع ومفهوم شامل.

روى البخاري في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ].

والله تعالى ليس بغافل عن أي طاعة، كبرت أم صغرت، ظهرت للناس أم خفيت عنهم...

١- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ".

٢- وَقَالَ تَعَالَى: "وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ".

والله تعالى يكافئ على الطاعة ولو كانت صغيرة بحجم الذرة...

وَقَالَ تَعَالَى: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ".

وقد بَيَّنَ الشارع كثرة طرق الخير وأبواب الطاعات بما لا يدع لك حجة في التفريط في أدائها...

١= كل مفصل من مفاصل جسدك يجب عليك أن تتصدق عنه بصدقة، وهذا الإيجاب ينبهك إلى كثرة طرق الخير، التي بطرق أبوابها تؤدي ما وجب عليك من صدقات المفاصل:

١- ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأذى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ].

٢- وفي صحيح مُسْلِم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مِفْصَلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمِدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنْ النَّارِ].

٣- في صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى](١).

٢= أن تبذل ما يعرف بالخدمة العامة لجماهير المسلمين هو من أبواب الخير...

١- في صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْت فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأذى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْت فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ].

٢- وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [الأيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الأيمَانِ](٢).

٣- وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ]، وَفِي رِوَايَةٍ لمسلم: [مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّيَن هَذَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ]، وَفِي رِوَايَةٍ لمسلم: [لَقَدْ رَأَيْت رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ].

ولنا همسة في أذن الذين يفسدون المرافق العامة لاسيما في أيام العيد في الحدائق والمتنزهات: إن كان إماطة الأذى عنها صدقة فإفسادها وتوسيخ المرافق العامة سيئة، ولنتعلم من الغرب درساً في المحافظة على المرافق العامة بأن جعلوا من ضمن العقوبات التعزيرية العمل في مجالات الخدمة العامة.

٣= ولا يلزم أن تكون غنياً لتفعل الطاعات وتتقرب بالقربات، فإن لم تستطع أن تحج أو تعتمر أو تتصدق بالمال فلك أبواب خير كثيرة،

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: [يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأجُور، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا

1 السُّلَامَى بِضَمِّ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْمِيمِ: الْمِفْصَلُ.
2 الْبِضْعُ مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعَةٍ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَقَدْ تُفْتَحُ، وَ الشُّعْبَةُ الْقِطْعَةُ.

رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ](٣).

٤= والوضوء طاعة، فهو مكفرة للذنوب، ومثبت للحسنات:

١- ففي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ – أَوْ الْمُؤْمِنُ – فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ – أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ – فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنْ الذُّنُوبِ].

٢- وَفِي صحيح مسلم عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ]، وفي رواية قال: [رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً].

٥= وغشيان المساجد والذهاب إليها وتعميرها، سواء في الصلوات الخمس اليومية، أو في صلاة الجمعة، وإعمال الخطوات في ذلك كله، هو من أعظم الطاعات:

١- وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ](٤).

٢- وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اُجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ].

٣- وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا].

٤- وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ].

٥- وفي صحيح مسلم عن جَابِرٍ قَالَ: [أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: بَنِي سَلِمَةَ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ](٥).

٦- وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنْ الْمَسْجِدِ مِنْهُ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْت حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ

---

3 الدُّثُورُ الأَمْوَالُ، وَاحِدُهَا دَثْرٌ.

4 النُّزُلُ الْقُوتُ وَالرِّزْقُ وَمَا يُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ.

5 بَنُو سَلِمَةَ بِكَسْرِ اللَّامِ قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَآثَارُهُمْ خُطَاهُمْ.

الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْت إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَك ذَلِكَ كُلَّهُ]، وَفِي رِوَايَةٍ: [إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْت](٦).

٦= والزرع الذي تزرعه لك فيه أجر، حتى لو سرقه منك سارق، أو أتلفه لك ظالم، فحقك في الثواب على مجرد زراعته محفوظ:

وفي صحيح مسلم عن جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ](٧)،

وَفِي رِوَايَة: [فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]،

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: [لَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً].

ومهما استطعت أن تزرع زرعة فازرعها، حتى ولو شعرت بقيامة القيامة:

ففي مسند أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ].

٧= والإحسان إلى الكائنات الحية من حولك طاعة، فكل ما له كبد في أعضائه لك ثواب إن أحسنت إليه:

ففي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ]،

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: [فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ]،

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: [بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ](٨).

ولنا همسة في أذن أولئك الذين فعلوا قبائح الذنوب وقد أيسوا من رحمة الله تعالى، نقول لهم: لستم أسوأ من بغية من بغايا بني إسرائيل:

١- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ".

٢- وَقَالَ تَعَالَى: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ".

٨= أخي الكريم: لا تحتقر شيئاً من أعمال الخير مهما صغرت،

---

6 الرَّمْضَاءُ الأَرْضُ الَّتِي أَصَابَهَا الْحَرُّ الشَّدِيدُ.

7 قَوْلُهُ "يَرْزَؤُهُ" أَيْ يَنْقُصُهُ.

8 الْمُوقُ الْخُفُّ، وَيُطِيفُ يَدُورُ حَوْلَ رَكِيَّةٍ وَهِيَ الْبِئْرُ.

١- ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا تَحْقِرَن مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاك بِوَجْهٍ طَلِيقٍ].

٢- وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَن جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ](٩).

٣- وفي الصحيحين عَنْ جَابِرٍ وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ].

٩= فقد تكون تمرة مثلاً تصدقت بها هي نجاتك يوم القيامة، ومرجح كفة ميزانك يوم لا ينفع مال ولا بنون:

ففي الصحيحين عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ]، وَفِي رِوَايَةٍ: [قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ].

١٠= أخي الكريم: إن لم تستطع أن تفعل خيراً، فأقل شيء تفعله: أن تكف شرك عن الناس، فهذه في حد ذاتها صدقة،

١- ففي الصحيحين عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الأيمَانُ بِاَللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، قُلْت: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا، قُلْت: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ، قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْت إنْ ضَعُفْت عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّك عَنْ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْك عَلَى نَفْسِك](١٠).

٢- وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالَ: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالَ أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْت إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ].

أخي الكريم:

كان دأب الصالحين ولا يزال: خوفهم من عدم قبول الأعمال الصالحات التي تقربوا بها لله تعالى...

١- ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: [سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ].

٢- قال الحسن البصري: (أدركت أقوامًا لو أنفق أحدهم ملء الأرض ما أمن، لعظم الذنب في نفسه).

---

9 قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْفِرْسِنُ مِنْ الْبَعِيرِ كَالْحَافِرِ مِنْ الدَّابَّةِ، وَرُبَّمَا اُسْتُعِيرَ فِي الشَّاةِ.

10 كلمة "صَانِعًا" هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ في ضبطها، وَرُوِيَ "ضَائِعًا" أَيْ ذَا ضَيَاعٍ مِنْ فَقْرٍ أَوْ عِيَالٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ، "وَالأَخْرَقُ" الَّذِي لَا يُتْقِنُ مَا يُحَاوِلُ فِعْلَهُ.

فلا تثق بكثرة العمل؛ فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟، ولا تأمن ذنوبك، فإنك لا تدري أكُفِّرت عنك أم لا؟ والمعجب بعمله مخذول، وكم من عابد قد أفسده العجب،

قال عبد الله بن مسعود: (الهلاك في اثنتين: القنوط والعجب).

فاستعن بالله على نفي الإعجاب باحتقار الأعمال، وتذكر آلاء الله عليك، وكن على وجلٍ من زوال النعم عنك عند تضييع الشكر:

١- روى مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: [كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِك مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِك وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِك وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِك وَجَمِيعِ سَخَطِك"].

٢- قال سعيد بن جبير: (دخل رجل الجنة بمعصية، ودخل رجل النار بطاعة، قيل: وكيف ذلك يا سعيد؟! قال: عمل رجل معصيةً، فما زال خائفًا من فعلها، فأدخله الله الجنة بخوفه من الله، وعمل رجلٌ طاعة، فما زال معجبًا بها حتى أحبط الله عمله فدخل النار).

فاحفظ ما تعمله من الصالحات بالإخلاص، والإقرار الدائم بالتقصير، وطلب المغفرة والرضوان.

والخطايا مطوقة في أعناق الرجال، والهلاك يكون في الإصرار عليها، وما أعرض معرض عن طاعته إلا عثر في ثوب غفلته، ومن أصلح ما بينه وما بين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق.

عن أبي جعفر السائح أنه قال: (كان حبيب أبو محمد تاجرًا يكري الدراهم، فمر ذات يوم فإذا هو بصبيان يلعبون، فقال: بعضهم لبعض قد جاء آكل الربا، فنكَّس رأسه وقال: يا رب أفشيت سري إلى الصبيان، فرجع فجمع ماله كله، وقال: يا رب إني أسيرٌ، وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة).

فإياك والمعاصي، فالعاصي في شقاء، والخطيئة تذل الإنسان، وتخرص اللسان،

قال أبو سليمان التيمي: (إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته).

أخي الكريم:

من المداومة على العمل الصالح المداومة على الصيام، بصوم الأيام النافلة عقب رمضان، استمراراً للعمل الصالح، ومداومةً عليه...

روى مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ].

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته